مُحمّدُ بنُ عَبدِ الوهّابِ
ودعوته
إلى التّوحيد

بقلم الدكتور التهامي نقرة

أجَلُّ ما في الإنسان قلبه، مستقر المعرفة واليقين، وخير ما يثبت فيه، عقيدة إلٰهية يغذيها بعمله وعبادته، فتهب له أسمى ما في الحياة، وتفتح له كنوز الإيمان منبع الأحاسيس الرفيعة، ومصدر العواطف النبيلة.

ومن أطيب ثمرات هذا الإيمان صالح الأعمال كما قال ﷺ : «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل». وما العقيدة الإلٰهية إلا عقيدة التوحيد التي بها أرسل رسله وأنزل كتبه، وجعلها وصيته في الأولين والآخرين.

فهي البدء والختام منذ رسالة نوح إلى رسالة محمد عليهما الصلاة والسلام. ولم تكن الوثنية إلا أعراضًا طارئة نفثت سمومها، ونشرت همومها.

فعن عياض المجاشي أن رسول الله ﷺ قال في إحدى خطبه : «ألا إن ربي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم. ومما علمني يومي هذا ... وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ...».

وما تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق، صادّة عن سبيل الله صارفه عن وحدانيته، داعية إلى الشرك.

فدين الله في جميع الأزمان إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية. وما دام الله واحداً فلابد أن يكون الدين واحدا في العقيدة، ولكن الناس قد تطغى عليهم الأوهام والرواسب والفلسفات، فيلبسوا الحق الذي جاءت به الرسل بالباطل الذي صنعته ظنونهم وعقولهم، كما فعل اليهود والنصارى حين تأثروا بالفلسفة الإغريقية التي تعدد الآلهة.

عقيدة اليهود والنصارى :

فادعى اليهود أن لهم إلـٰها خاصًا بهم، وهو إله إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهة أخرى ولم يخص إلـٰههم من صفات الحوادث، ومن شوائب النقص والتجسيم، وقد بدأ انحرافهم وموسى بين أظهرهم حين عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري من ذهب. وزادت عقيدتهم في الله ارتكاسا في العهد الذي ألف فيه التلمود، وهو القرون الستة الأولى بعد الميلاد.

وزعم النصارى أن المسيح عقل «سام» متولد عن الله، وكان موجودًا قبل خلق العالم، وقد تجسد ليخلص الناس من خطيئة أبيهم آدم، ولكنه مع ذلك تابع للإلـٰه الأب، والثلاثة والتي هي الآب والابن وروح القدس إله واحد، رغم أن كل واحد منها مستقل عن الآخر، تعالى الله عما يقولون.

ولم تكن عقيدة التثليث هذه موجودة في العهد الجديد (الإنجيل) ولا في أعمال الحواريين وتلاميذهم، ولكن بولس هو الذي خالف عقيدة التوحيد وزعم هذا الباطل، وإنجيل برنابا مخالف لكل ذلك.

ومما يروى أن مسلمًا قال لأحد القساوسة : بلغني أن رئيس الملائكة قد مات، فقال له : هذا محض افتراء، فإن الملائكة خالدون. فقال له المسلم : كيف ، وقد كنت تقول في وعظك : إن الإلٰه قد مات على خشبة الصليب. فكيف يموت الإلٰه وتخلد الملائكة ! ؟

قال أحد الشعراء :

عجبا للمسيح بين النصارى   وإلى الله والدا نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا   إنهم بعد قتله صلبوه
فلئن كان ما يقولون حقًا   فسلوهم، فأين كان أبوه ؟
ولئن كان راضيًا بأذاهم   فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطا غير راضٍ   فاعبدوهم لأنهم غلبوه !

العرب وعقيدة التوحيد :

أما الاسلام فهو دين التوحيد الخالص، وجوهر عقيدته، ومحور عباداته، والطابع المميز له إنما هو عبودية الإنسان لله وحده. ومن ثم كانت عنايته الكبرى موجهة إلى تحرير العقيدة من شباك الخرافات والأوهام، وإلى تحديد الصورة التي يجب أن يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية التي جاءت بها الأديان السماوية كلها، كما يقرر ذلك القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : «**وما أرسلنا من قبلكَ من رَسُولٍ إلاَّ نُوحِيَ إليَهِ أَنَّهُ لا إلٰه إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**» (الأنبياء ٢٥) .

وحين جاء الإسلام كان في الجزيرة العربية ركام من باطل المعتقدات التي تسربت إليها من اليهودية والنصرانية والفرس، ومن الوثنيات القديمة. فمنهم من عبد الأصنام، إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما لذاتها، وكان بالكعبة التي أُقيمت قواعدها لعبادة الله الواحد الأحد نحو ثلاثمائة وستين صنما. وقد بين القرآن الكريم ألوان الشرك التي كانت سائدة في الجاهلية في عدة سور⁽¹⁾ وكان أكثر ما نزل منه في المرحلة المكية يهدف إلى غرس عقيدة التوحيد ونشرها بين قوم لم يكلفوا بشريعة قط، لوجودهم في فترة من الرسل تمتد من إسماعيل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام، وهي مدة تزيد

على ثلاثة آلاف سنة : قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : **لُتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك»** (القصص : ٤٦).

وبتعاقب الأجيال والوراثة والتقليد، كان يتأصل فيهم باطل الشرك ويستحكم، حتى صار من العجب أن يقال لهم : الله واحد !. **«أَجَعَلَ الآلهة إلهًا واحدًا، إن هذا لشيءٌ عجابٌ»** (صٓ : ٤). وكم ضرب القرآن لهم من أمثال وأقام من براهين على وحدانية الله في ذاته، فلا شريك له في ملكه، وليس كمثله شيء؛ وفي صفاته، فليس لأحد من الصفات ما يُشبهها؛ وفي أفعاله، فليس لأحد مثلُ فعله !

وكم في القرآن ما يصحح الديانات المنحرفة، والأوهام الخابطة في الظلام ! ومن هنا صار كل شيء في الإسلام مقامًا على التوحيد، ومنبثقًا عنه. والمسلم يساق من باطنه، لا من ظاهره. والعقيدة هي التي يجب أن تلقي ظلها على حياته، فاعتبرها القرآن غاية سامية في ذاتها، كما قال ابن القيم:

إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه ...(٢) فالرجوع إلى الله وحده في التحريم والتحليل، وفي التشريع، ومنهج الحياة، وميزان القيم والاعتبارت، والتوجه إليه وحده في الطلب والعبادة والرجاء والخشية والتقوى، هو من مقتضيات توحيد الإلوهية والسلطان.

«هو الحي لا إلـه إلا هو فادْعوهُ مخلصين له الدين» (غافر : ٦٥).

قوة التوحيد :

وإنه لا توجد في الأرض قوة تكافيء قوة التوحيد، إذ هو يحرر النفوس من الخنوع لغير الله، والعبودية لكل ما سواه، ويصون العمل من آفة الرياء. وقد كان من عاجل ثمراته تلك النماذج البشرية الرفيعة التي ضربت أمثلة رائعة في الكمال الإنساني، تأبى نفوسهم الذلة والاستكانة، ولا ينصاعون للظالم وإن قويت شوكته وعلا في الأرض؛ يستمدون من الله العون والسند، يخشونه ولا يخشون الناس وإذ قيل لهم : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، ازدادوا إيمانًا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل.

وبذلك كتب الله لهم النصر في مواجهة الطغيان، وأخرجهم من كل محن الابتلاء ظافرين، لأن إيمانهم بالله بلغ درجة اليقين، إذ بيده آجالهم وأرزاقهم ونفعهم

وضرهم. وهذا ما غرسه النبي ﷺ في قلوبهم. وقد **قال لابن عباس وهو غلام : «احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك. لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.. وإن اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»** (رواه الترمذي).

وبهذه العقيدة التي بثها في أصحابه وأتباعه، وصهرها في قلوبهم، هانت عليهم الدنيا، بل هانت عليهم أنفسهم، واستجابوا لله حين دعاهم لما يحييهم، ولم يغرهم نعيم الحياة الفانية لأنهم واثقون بأن ما عند الله خير وأبقى.

ولم يتخل النصر عن المسلمين إلا حين اهتزت عقيدتهم ، واختل إيمانهم.

خطر فساد العقيدة :

فإذا كان هذا من آثار عقيدة التوحيد في النفس والحياة، فإن الانحراف بها عدول عن منهج الدين القيم، وضلال عن سبيل الله، وتلويث للفطرة السليمة. «إنِ الحُكْمُ إلا لله. أَمَرَ ألاَّ تَعبدوا إلا إياهُ. ذلكَ الدينُ القيِّمُ. ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يعلمون» (يوسف : ٤٠). وأي تمزق ينشئه التصور الخاطىء في ضمير المسلم وحياته، هذا التوزع في التوجه والدعاء، والشعور والرجاء !

إن معقد الدعاء والرجاء، هو الذي يملك مفتاح العطاء، وهو واهب الحياة، وليس الذي وَهبت له الحياة !

وحس الإسلام في تمحيص القلوب، ونقد الخطرات مرهف شديد الحساسية. فكيف يسمح لمن يدين بعقيدة التوحيد الخالص أن يسلم وجهه لغير الله، أو يرجو سواه، أو يتزل في وهدة يذل فيها لمخلوق مثله ليس له من الأمر شيء ؟

لذلك حذرنا من الشرك بكل صوره وأشكاله ، لأن مساربه كثيرة، ومزالقه قد تدق وتخفى ، فلا يكاد يراها إلا الذين قدروا الله حق قدره. وقد جاء في الأثر : الشركُ أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء.

قال يحيى بن معاذ : «إن للتوحيد نورا، وللشرك نارا، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين».

ومن المسلمين من ينسى الحق إذا طال عليه الأمد، ويألف المنكر إذا كرره أو تكرر أمامه إلا من عصم الله من الأتقياء الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يسكتون عن الحق خائفين أو مجاملين، أو مترخصين أو متأولين، وحمدُ الناس لا يغريهم، كما أن ذمهم لا يثنيهم. وفيهم من أيقظهم الله للإصلاح فانبرى كالسهم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، حتى يكون الدين كله لله، وإن حمَّله ذلك من أذى المبطلين ومقتهم عناءً وجهدًا وجهادًا.

ومن بين هؤلاء المجددين المصلحين **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** الذي بايع بالإخلاص والولاء ربَّه، ونوَّر بالعلم قلبه، وتسلّح بالإيمان واليقين، فعمل على تحرير النفوس من عنت الأهواء الجامحة، والجاهلية الغاشية، وتخليصها من شوائب المنكرات والبدع.

محمد بن عبدالوهاب الداعية المصلح :

ولد في بلدة العيينة من نجد سنة ١١١٥ هـ . وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادىء العلوم والفقه الحنبلي عن والده مفتي العيينة وقاضيها، ثم سافر في طلب العلم إلى الحجاز والبصرة حيث عكف على دراسة كتب التفسير والحديث ومؤلفات العلامة ابن تيمية، ومؤلفات تلميذه ابن قيم الجوزية، وكان تأثره بهما واضحًا في كتاباته وأفكاره وحججه .

ثم لما رجع إلى بلدة عيينة تلقاه أميرها آنذاك **عثمان بن معمر** بحسن القبول. وكان بها كثير من الأشجار والأحجار التي يعظمها أهل القرية ويذبحون لها، كقبة زيد بن الخطاب وشجرة أبي دجانة. فساءه ما رأى من خَبْط في الضلال، وخرج مع أمير البلدة في عدد من الجنود، فقطعوا الأشجار التي كان الناس يلوذون بها، وهدموا المشاهد والقباب؛ فشكوه إلى حاكم القطيف والإحساء، فأرسل كتابًا إلى عثمان بن معمر يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلدته، فخرج منها إلى الدرعية ١١٥٨ هـ . ولما علم

به أمير الدرعية **محمد بن سعود** زاره، وجرى بينهما حديث حول ما يجري بين أهل نجد من شرك خفي أبعدهم عن عقيدة التوحيد. وكانوا ينتابون قبرا يزعمون أنه قبر ضرار الصحابي المعروف، يسألونه قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشجرة تسمى الطرفية، يعتقدون فيها ما كان يعتقد مشركو الجاهلية في ذات أنواط. ومغارة يسمونها : مغارة بنت الأمير، ويختلف إليها النساء اللائي لم يلدن أو لم يتزوجن، وغير ذلك مما يمس جوهر التوحيد، ويجعل النفع والضر بيد غيره سبحانه.

وقد وجد من الأمير أذنا صاغية، وقلبًا واعيًا، واستعدادًا لحماية ما يعتزم القيام به من دعوة الإصلاح ومقاومة البدع، وطمس مظاهر الشرك. وليس ذلك بالأمر الهين في قوم رانت على قلوبهم أوهام وأباطيل، فاجتالتهم عن الفطرة السليمة، لتصبح جزءًا من عقيدتهم وقاعدة لتصوراتهم .

ولم تكن هذه الحركة الإصلاحية التي تجهم لها يومئذ أهل نجد سوى عقيدة صحيحة تصل الناس بربهم من غير وسطاء ولا شفعاء. فتعاهدا على جمع الكلمة، وإزالة الشبهات، ومقاومة المنكرات، وإصلاح ما فقد من العقيدة، فدان لدعوة الشيخ من دان، و ثار عليه من ثار، وقد وجد من الأمير في محنته سندًا متينًا ومدافعًا أمينًا.

وفي سنة **١١٩٩ هـ توفي الإمام محمد بن سعود فخلفه ابنه البار عبدالعزيز** - رحمهما الله - في الحكم ،وفي مؤازرة الشيخ ومناصرته، ففتح الرياض وتهامة وما يليها من اليمن والحجاز، ودانت له نجد، فاستقام أمر الدعوة للشيخ بعد عشرين عامًا من النضال المتواصل. وبعد مضي سبع وعشرين من ولايته توفي عن سن تناهز التسعين وذلك سنة ١٢٠٦ هـ .

دعوته إلى للتوحيد :

وأكثر مؤلفات هذا المصلح الجليل كانت دعوته إلى توحيد الله ، وهو حق الله على عباده. وكلمة التوحيد تضمنت نفي الإلهية عما سوى الله بالنسبة لمن يلوذ أو يستعين أو يستغيث أو يدعو. وذلك هو توحيد الربوبية الذي أمر الله به في كتابه العزيز كقوله تعالى :

«وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادُوا يكونون عليه لِبَدًا. قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدًا. قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدًا. قل إني لن يجيرني من الله أحدٌ، ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغاً من الله ورسالاته» ... (سورة الجن – ١٩ : ٢٢).

قال ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، وإنما أنا عبد . فقولوا : عبد الله ورسوله».

وقال له رجل : ما شاء الله وشئت . فرد عليه قائلاً : (أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده) .

واستنادا إلى ذلك ونحوه ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قسم العقيدة أن من الشرك الاستغاثة بغير الله أو دعاء غيره ، لأن فيه صرف خصائص الربوبية لغير الله . فليس لأحد أن يبغي على هذه الحدود فيتجاوزها ، ويتوجه إلى مخلوق بما لا يجوز أن يتوجه به لغير الخالق ، إذ في ذلك هضم للربوبية ، ومساواة بالله رب العالمين «**أفمن يَخلقُ كمن لا يخلقُ، أفلا تذكَّرون**» (النحل : ١٧).

وفي حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة ، وأخبرها النبي ﷺ بذلك ، قالت لها أمها : قومي إلى رسول الله . فقالت : والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا إياكما (تعني أبويها) ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي .

وفي رواية بحمد الله لا بحمدك.

وأخرج البيهقي بسنده أن محمد بن مسلم قال : **سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك : إني لأستعظم قول عائشة للنبي ﷺ : بحمد الله لا بحمدك. فقال عبدالله : إنها أولت الحمدَ أهله.**

ثم إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده ، كما جاء في القرآن الكريم : «**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار، ومن يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون : الله**».

ويرد الشيخ رحمه الله على ما ينتحله هؤلاء من المبررات والأعذار الواهية فيجيب : (فإن قال قائل من المشركين ، نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحين مقربون ، ونحن ندعوهم وننذر لهم ، ونستغيث بهم ، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة . فقل : كلامك هذا هو مذهب أبي جهل وأمثاله ، فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء ، يريدون ذلك كما حكى عنهم القرآن : «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (الزمر : ٣).

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون : **هؤلاء شفعاؤنا عند الله**» (يونس : ١٨) . إن الذي كفرهم أنهم لم يشهدوا بتوحيد الألوهية ، وهو ألا يدعي ولايُرجى إلا الله، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُنذر أو يُذبح لغيره⁽³⁾ وحسب الدنيا ضلالاً أن تعمى عن إشراق التوحيد في هذا الوجود. وفي ذلك فساد العقيدة وفساد الحياة وسوء المصير.

في الحديث القدسي : **(إني والإنس والجن في نبإ عجيب . أخلقُ ويُعبَد غيري ، وأرزقُ ويُشكَر غيري)** .

فدعوة الشيخ إلى التوحيد الخاص تتجاوز حدود نجد إلى العالم الإسلامي كله ، وفيه من يدعون من دون الله عبادًا أمثالهم ، وينذرون لهم النذور ، ويتقربون بهم إلى الله زلفى ، وقد يجعلونهم لله أندادا.

قال ﷺ في حديث رواه البخاري عن ابن مسعود : «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**».

تعريف للشرك :

ومن يدرس رسائل **الشيخ محمد عبد الوهاب** وخطبه في التوحيد والشرك، يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج، وبما يقوي الإيمان ويصلح العقيدة، ويدحض الشبهات، لاستناده في الاستدلال على الكتاب والسنة، وكفى بهما حجة على الضالين والمفترين.

وهو كثيرًا ما يفترض سؤالا للاعتراض فيجيب عليه، لمزيد من الاقناع، وليلقن الدعاة ما يجب أن يتسلحوا به من أدلة النقل والعقل في دعوتهم إلى التوحيد، كقوله في الرسالة السابعة : «الأصل الجامع لعبادة الله وحده»؛ (فإن قيل : ما الجامع لعبادة الله وحدَه ؟ قلتُ : طاعتهُ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فإن قيل ما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى ؟ قلتُ : من أنواعها : الدعاء والاستغاثة وذبح القربان والنذر والخوف ، والرجاء والتوكل والإنابة والخشية والرغبة والرهبة، والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الإلهيّة. ودليلُ الدعاء قوله تعالى «**وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تدعوا مع الله أحداً**» (الجن : ١٨). ودليل الاستغاثة قوله تعالى : «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم..»[٤] (الانفال : ٩) وفي تعريفه للشرك ذكر له ثلاثة أنواع، وهي[٤] :

١ ـ شرك أكبر : وهو شرك العبادة والقصد والمحبة.
فشرك العبادة معروف. وشرك النية والقصد، أن يقصد بطاعته غير وجه الله.

وشرك الطاعة لا إشكال فيه وتدخل فيه طاعة الخلق في المعصية. وقد فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله. فقال: «لسنا نعبدهم. فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية» (رواه الترمذي).

ومن شرك المحبة قوله تعالى : «**يحبونهم كَحُبِّ الله، والذين آمنوا أشدُّ حبًا لله**» (البقرة : ١٦٥).

٢ ـ شرك أصغر وهو الرياء لقوله ﷺ في حديث رواه الحاكم : «اليسير من الرياء شرك».

٣ ـ شرك خفي قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم. لذلك كان ﷺ يقول في دعائه : «اللهم إني أعوذ بك أن أُشرِك بك شيئًا وأنا أعلم ، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

وقد أفاض الشيخ القول في إخلاص العمل لله، وتفرغ القلب من كل ما يشغل عنه أو يُوجه إلى غيره، وهي دقائق لا يحسها إلا من مارس الإيمان، وعاش تجاربه الروحية.

من تأليف الشيخ :

وللشيخ عدة مؤلفات يجتمع فيها العقل والنقل، والفكر والعمل، والمنهج والتطبيق ، والتشريع والحكم.

فمن تآليفه القيمة : كتاب التوحيد، وكتاب أصول الإيمان وفضائل الإسلام، وكتاب أحاديث الفتن، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، وكتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، ومجموع الحديث مرتبًا على أبواب الفقه. كل ذلك بالإضافة إلى مختصرات بعض المصادر الهامة، مثل مختصر زاد المعاد لابن القيم، ومختصر الإنصاف في معرفة الراجح في الخلاف، للمرداوي، ومختصر الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي .

وقد أنجزت **جامعة الإمام محمد بن سعود** أعمالاً جليلة أثْرتْ المكتبة الإسلامية بما حققت وطبعَت ونشرت من آثار مخطوطة لهذا الداعية الكبير ، والمصلح القدير فأنارت بفضل علمائها الأبرار سبيل الدارسين الذين لم تتوافر لديهم مؤلفات الشيخ العلمية ليتفادوا النقص في المعلومات ، أو التهم والمغالطات التي أشيعت نحوه. كقول بعضهم : «المذهب الوهابي» في حين أن الشيخ ليس صاحب مذهب في الفقه ولا في العقيدة، ولكنه عالم مُصلح ، وداعية مخلص ، وحنبلي سلفي ، وما قام به من دعوة إلى التوحيد، لا يعدو أن يكون إحياء لمذهب السلف الصالح الذين كانوا يرفضون القول بأن الله تعالى جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجيء الإنسان إليهم ويرجوهم ، ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

«واذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوبُ الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون» (الزمر : ٤٥).

ويعجبني في هذا الصدد ما قاله القشيري في تفسيره لقصة ابتلاء إبراهيم عليه السلام بذبح ولده : «فلما بلغ معه السعي ...» إشارة إلى وقت توطين القلب على الولد، وشدة تعلقه به. ويقال في القصة: إنه رآه ذات يوم راكبًا فرسًا أشهب، فاستحسنه ونظر إليه معجَبا بقلبه، فأمره الله بذبحه. فلما امتثل وأخرجه من قلبه وأسلمه لله، ظهر الفداء، وكأنه قيل له: كان المقصود من هذا فراغ قلبك عنه.

وقد أفاض الشيخ في كتبه القول بإخلاص العمل لله وتفرغ القلب من كل ما

يشغل عنه، أو يُوجه إلى غيره.

هذه الكتب النفيسة التي حققها علماء أجلاء بما أظهروه من صبر وأمانة وعلم وتدقيق. فجزاهم الله عن هذا الجهد المضني خير الجزاء.

وإذا أشرت إلى بعض مؤلفات الشيخ رحمه الله، فلا يفوتني أن أعرِّف أيضًا ببعض أبنائه وأحفاده الذين أوقفوا حياتهم على نشر الدعوة والعلم بمؤلفات مثل:

تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس . وصباح الظلام في الرد على الشيخ الإمام: للشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن. **وتيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد: لسليمان ابن الشيخ عبدالله. ودورنا في الكفاح. لمعالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي** أطال الله عمره في طاعته.

خاتمة :

والحق أن جهل السواد الأعظم من المسلمين حيثما كانوا بحقيقة دينهم، وتأثير المذاهب الهدامة على شبابهم، وطغيان الطواغيت في الأرض والدعايات الإعلامية التي يروجها أعداء الإسلام ضد قيمه الخالدة، ثم تجرؤ بعض الناس على اقتحام باب الاجتهاد في الدين بدون مؤهلات لذلك ، وتأثير بعض الوثنيات القديمة كرمز «الطوطم» على بعض القبائل بأفريقيا السمراء في مالي ونيجريا وغيرهما، ثم ما يرى من تفشي البدع والمنكرات في بعض الأوساط ، يُحَمِّل علماء الإسلام في هذا العصر مسئوليات دينية جسيمة في مجال الدعوة والتبليغ والتبصير، حتى يعرِّفوا الناس بما يجهلون، ويذكروهم بما ينسون، ويُنَبِّهُوهم إلى ما عنه يغفلون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الهوامش :

(١) كسورة الزمر: ٣ و ٤، والزخرف: ١٢ — ١٥، وسبا: ٤٠ — ٤١، والصافات: ١٤٩ — ١٥٩ والنجم: ١٩ — ٢٨.

(٢) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: ٢٨٩/٣ (ط. مصر: ١٣٣١ هـ).

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: القسم الأول: ٣٦٣ — ٣٦٦.

(٤) مؤلفات الشيخ الإمام: قسم أول: ٣٧٩/١ — ٣٨٠.

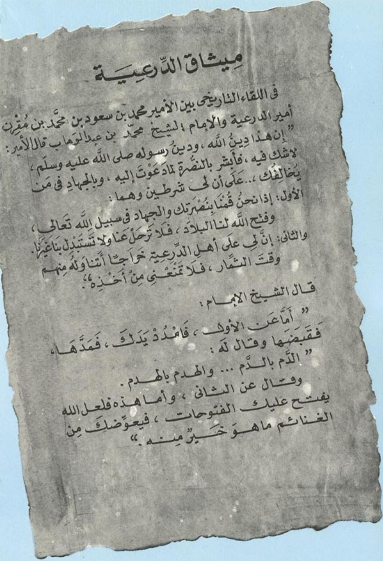

مِيثاق الدِّرعِيـة

فى اللقاء التاريخى بين الأمير محمد بن سعود بن محمّد بن مُقرِن أمير الدرعية والإمام الشيخ محمّد بن عبدالوهاب قال الأمير:

” إن هذا دِينُ الله، ودينُ رسوله صلى الله عليه وسلّم، لاشك فيه، فأَبشِر بالنُّصرة لمادَعَوْتَ إليه، وبالجهادِ فى مَن يُخالِفك،.. عَلَى أن لى شرطين وهما:

الأول: إذا نحنُ قُمْنا بِنُصْرَتك والجهاد فى سبيل اللّه تعالى، وفتح الله لنا البلادَ، فَلا تَرحَلْ عنا ولا تَستَبْدِلْ بنا غيرَنا.

والثانى: إنَّ لِى علَى أهلِ الدِّرعِية خَراجًا أتناوَلُه منهم وقتَ الثِّمار، فلَا تمْنعْنِى مِنْ أَخْذِهِ“.

قال الشيخ الإمام:

” أَمَّا عَن الأول، فَامْدُدْ يَدَكَ، فَمَدَّها، فَقَبَضَها وقال لَه:

” الدَّم بالدَّم ... والهدم بالهدم.

وقال عن الثانى، وأما هذه فلعل الله يفتح عليك الفتوحات، فيعوِّضكَ مِن الغنائم ماهوَ خَيرٌ مِنه“.

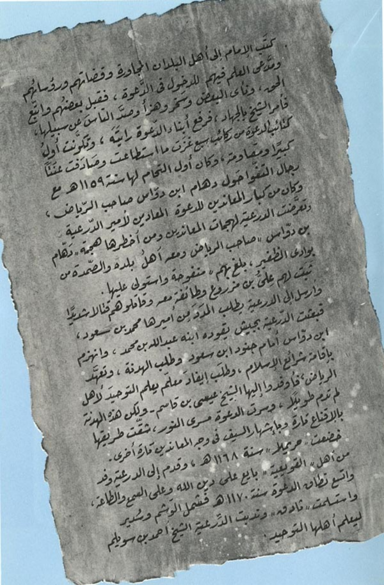

كتب الإمام إلى أهل البلدان المجاورة وقضاتهم ورؤسائهم ومدّعي العلم فيهم للدخول في الدّعوة ، فقبل بعضهم واتّبع الحق ، ونأى البعض وسخر وهزأ وصدّ الناس عن سبيلها ، فأمر الشيخ بالجهاد ، فرفع أبناء الدّعوة رايته ، وتكوّنت أول كتائب الدعوة من ركائب سبع غزت ما استطاعت وصادفت عنتًا كبيرًا ومقاومة ، وكان أول التحام لها سنة ١١٥٩هـ مع رجال التفوا حول دهام ابن دوّاس صاحب الرّياض ، وكان من كبار المعاندين للدعوة المعادين لأمير الدّرعية وتعرضت الدرعية لهجمات المعاندين ومن أخطرها هجمة « دهام بن دوّاس » صاحب الرياض ومعه أهل بلده والصمدة من بوادي الظفير ، بلغ بهم « منفوحة » واستولى عليها . ثبت لهم عليّ بن مزروع وطائفة معه وقاتلوهم قتالًا شديدًا وأرسل إلى الدرعية يطلب المدد من أميرها محمد بن سعود ، فبعثت الدرعية بجيش يقوده ابنه عبدالله بن محمد ، وانهزم ابن دوّاس أمام جنود ابن سعود وطلب الهدنة ، وتعهّد بإقامة شرائع الإسلام ، وطلب إيفاد معلّم يعلم التوحيد لأهل الرياض ، فأوفدوا إليها الشيخ عيسى بن قاسم . ولكن هذه الهدنة لم تدم طويلًا ، وسرت الدعوة مسرى النور ، شقّت طريقها بالإقناع تارة وبإشهار السيف في وجه المعاندين تارة أخرى . خضعت « حريملاء » سنة ١١٦٨هـ ، وقدم إلى الدرعية وفد من أهل « القويعية » بايع على دين الله وعلى السمع والطاعة ، واتسع نطاق الدعوة سنة ١١٧٠هـ فشمل الوشم وسدير واستسلمت « ثادق » وندبت الدّرعية الشيخ أحمد بن سويلم ليعلم أهلها التوحيد .